هوامش

مع تزايد نزعتهم إلى تقليد الغرب، يتوجه صينيون إلى خيارات تتعارض مع تقاليدهم وحتى مع قوانين السلطات، وبينها استئجار أرحام أميركيات وأوروبيات لتغيير جينات الأطفال

شبان صينيون يريدون أطفالاً غربيين (غونغ بو/ Getty)

ترف صيني

«أرحام غربية» لـ«تحسين» الجينات

بكين ـ **علي أبو مريحيل**

انتشرت في الفترة الأخيرة ظاهرة محاولة أثرياء في الصين تحسين جيناتهم الآسيوية، عبر استئجار أرحام نساء أوروبيات وأميركيات لإنجاب أطفال بعيون واسعة وملامح غربية. وساهمت هذه الرغبة في ازدهار سوق جديد وفريد من نوعه شهد فتح مكاتب سمسرة ووكالات متخصصة في تسهيل الإجراءات عبر القارات وتتبع تنفيذها. وتفيد أرقام متداولة على مواقع صينية للتواصل الاجتماعي بأن كلفة إنجاب طفل واحد تناهز 150 ألف دولار، علماً أن القانون الصيني يمنع تأجير الأرحام، بخلاف الولايات المتحدة، ما يشكل أحد أسباب لجوء الشباب الصيني إلى السوق الأميركية. لكن مراقبين يرون أن الأمر لا يتعلق بمجرد الرغبة في تحسين المواصفات الجينية للجيل الجديد، بل أيضاً بارتفاع معدلات العقم في البلاد.

حماسة

يكشف لو مينغ البالغ 27 من العمر ويعمل مبرمجاً في شركة تكنولوجية بمدينة تيانجين، لـ«العربي الجديد» أن فكرة الإنجاب عبر الحدود راودته أكثر من مرة، وأنه بات يملك إلماماً كاملاً بكل تفاصيل الموضوع، لكن ما أعاق مهمة تحويل الفكرة إلى واقع رفض والديه تنفيذها كونها تتعارض مع القانون الصيني. ويقول: «لست متزوجاً ولا رغبة لدي في فعل ذلك، لكني أفضل الإنجاب بهذه الطريقة في المستقبل، فأن يكون لدي طفل مختلف عن أقرانه الصينيين على صعيد الملامح والنسب أيضاً، أمر يثير حماستي. الصينيون يملكون عيوناً صغيرة جداً، وأنوفاً مسطحة، بينما يتميز الغربيون بأنوفهم الطويلة والمستقيمة وعيونهم الواسعة والجميلة. وهم دائماً محط إعجاب شعوب الدول الأخرى، خصوصاً في شرق آسيا». من جهته، يقول تشون وان، وهو صاحب مركز لألعاب الفيديو في العاصمة بكين لـ«العربي الجديد»: «والداي يلحان علي بالزواج منذ أن تخرجت قبل عامين، لأنني وحيدهما، ويريدان أن أنجب طفلاً يحمل اسم العائلة ويحافظ على نسلها. فكرت في الأمر قبل أن أقرأ عن موضوع تأجير الأرحام، وقد استهوتني الفكرة كثيراً، إذ أستطيع بهذه الطريقة أن أحصل على طفل من دون تحمل أعباء الاقتران بزوجة، فأنا صعب المراس، ولا أعتقد بأن أي فتاة تستطيع أن تعيش معي تحت سقف واحد. كما أنني لا أريد أن أجلب زوجة تعكر أجواءنا العائلية الهادئة». ويربط باحثون عزوف الشبان الصينيين عن الزواج بانجذابهم إلى القيم الغربية المتحررة. ويقول الباحث في مركز «شين جن» لفض النزاعات الاجتماعية تيان شانغ لـ«العربي الجديد»: «في ظل التحولات الاجتماعية التي طرأت على المجتمع ووجود خيارات متعددة، بات الشباب يفضلون حياة العزوبية، وبدأ المتزوجون في التوجه نحو الطلاق. ويهدد ذلك مفهوم الأسرة الصينية، ويتسبب في انقطاع سلالات العائلات».

باختصار

استئجار الأرحام ظاهرة ترف لدى الطبقة البرجوازية في المجتمع الصيني الذي يتبع الموضة الغربية في كل مظاهر الحياة

■■■

منع السلطات استئجار الأرحام في الداخل وانعدام البدائل المحلية جعل من يعانون من العقم يجدون ضالتهم في الخارج

■■■

إقبال الصينيين على استئجار أرحام أميركيات ارتفع بنسبة 18 في المائة خلال السنوات الخمس الماضية

رد اعتبار

أما الطالب في جامعة بكين للدراسات لينغ تاو فيتحدث لـ «العربي الجديد» بنفس قومي. ويعتبر أن «فكرة استئجار أرحام أوروبيات قد يمثل وسيلة لرد اعتبار الأمة الصينية التي عانت من ويلات تعاقب المستعمرين الغربيين على أراضيها. ونهضة الصين اليوم وتقدمها الاقتصادي وتفوقها على دول متقدمة كثيرة يمنح شبابها الحق في التعامل مع الغرب بقدر من الدونية، مثلما كان ينظر المستعمرون للمواطن الصيني خلال العقود السابقة، باعتباره مجرد عبد يلبي رغباتهم، وينفذ أوامرهم». من جهتها، تشرح الباحثة إيمي تان لـ«العربي الجديد» بأن القانون الصيني يعارض بوضوح استئجار الأرحام، ويعاقب من يخالفه بالسجن مدة لا تقل عن خمس سنوات، ما دفع شباناً كثيرين نحو الغرب، خصوصاً الولايات المتحدة التي يسمح قانونها بذلك». ورداً على سؤال عن الدوافع الذي تقف وراء هذه الفكرة وانتشارها بين الشباب وتزايد احتمال وضعها قيد التنفيذ، تشير إيمي تان إلى سببين رئيسيين: الأول ارتفاع نسبة العقم عند الرجال، ما يعني أنه في ظل منع السلطات استئجار الأرحام في الداخل وانعدام البدائل المحلية قد يجد هؤلاء ضالتهم في السوق الأميركية. أما السبب الثاني فيرتبط بالترف المفرط لدى الطبقة البرجوازية داخل المجتمع الصيني، والذي يجعل الكثير من أفرادها يتنكرون للقيم والتقاليد المحلية السائدة من خلال اتباع الموضة الغربية في كل مظاهر الحياة، سواء على صعيد المظهر أو العادات وحتى اللغة». تضيف: «نحن أمام جيل غير متصالح مع نفسه، ولديه جموح نحو تقليد كل ما هو غربي، وبلغ ذلك اليوم حدّ الإنجاب لمجرد الرغبة في تحسين الجينات الوراثية».

حملات السلطة

وسبق أن شنت السلطات الصينية حملة كبيرة خلال الأعوام الماضية على مكاتب سمسرة كثيرة مسؤولة عن تسهيل إجراءات تأجير الأرحام، خصوصاً بعد انتشار هذه الظاهرة واتساعها، وتداول قصص وصور على مواقع التواصل الاجتماعي لأطفال أشخاص بادروا إلى تنفيذ هذه الخطوة، علماً أن الفكرة حظيت بترحيب واسع من مستخدمي الإنترنت في البلاد، باعتبارها تطور الجينات وتحسن ملامح المواطنين في المستقبل. لكن هذه التعليقات وردود الفعل المحبذة للظاهرة والمؤيدة لتطبيقها أغضبت السلطات وأثارت سخط مسؤوليها، ما دفعها إلى إغلاق أكثر من 120 منصة إلكترونية، وحذف نحو 150 ألف منشور تناول مسألة تأجير الأرحام في موقع «ويبو» الصيني الذي يعادل موقع «تويتر». واللافت أن إقبال الصينيين على استئجار أرحام أميركيات ارتفع بنسبة 18 في المائة بحسب تقديرات محلية غير رسمية خلال السنوات الخمس الماضية، مقارنة بالفترة الممتدة بين عامي 2010 و 2015. وعزا مراقبون ذلك إلى ارتفاع نسب العقم ووصولها إلى مستويات غير مسبوقة، إذ حددت الجمعية الوطنية للصحة الإنجابية في الصين عدد الذين يعانون من العقم في البلاد بحوالى 55 مليون شخص العام الماضي، مع توقعها أن يتجاوز العدد حاجز المائة مليون بحلول عام 2030، بسبب مشكلات التلوث الناجمة عن مخلفات المصانع. وكان نشطاء حذروا سابقاً من خطورة تأجير الأرحام على المجتمع الصيني، ودعوا السلطات إلى «الضرب بيد من حديد كل من يتخطى الخطوط الحمراء»، معتبرين أن «إقبال الشباب على هذا الإجراء يهدد الجينات الصينية ويخلق جيلاً مشوهاً فكرياً وثقافياً واجتماعياً».

وأخيراً

المشيُ فِعْل مُقاومة

نجوى بركات

في باريس، عدتُ أمشي. أنا إجمالا لا أبتعد عن دائرتي المقفلة، الدائرة الخامسة، حيث هبطتُ منذ مغادرتي لبنان في خضمّ الحرب الأهلية. وها أنا اليوم قد عدتُ إليها في خضّم الانهيار اللبناني. والحق أني لستُ من محبّي الرياضة عموما، على أنواعها، ولطالما أشعرني كسلي الجسديّ، إذا صحّ التعبير، بالذنب والتخاذل عن ممارسة حركةٍ تحظى عموما بكل التقدير والاعتبار.

في باريس، عدتُ أمشي بإرادتي، ومرغمة، كي أتفادى ركوب المترو. لستُ أدري إن كان المشي في المدن العربية أمرا متوفرا أو محبّبا أو ممكنا للنساء، فهؤلاء قلّما تمشّين في شوارع مدنهنّ، حيث الفضاء العام يُقصيهنّ ويطردهنّ. النزول إلى فضاء عام يحتلّه الذكور بشكل كامل خرقٌ للأصول والأعراف، تحدٍّ، استفزاز، وهو لذلك بات يُداوى بالتحرّش والمضايقة. لذا، لا يُسمح إجمالا للمرأة العربية بأن تنزل إلى الشارع إلا إذا امّحت، اختفت، صارت بقعةً سوداء تعبُر بخفر ولا تُطيل.

في بيروت، كان الفضاء مفتوحا لنا، نحن النساء، لكن الطرقات ضيّقة، والأرصفة ضائعة، والمساحة مصادرة ومقفلة في وجه المشاة.

هنا، عدتُ أمشي. أنا لا أحكي عن المشي كرياضة، بل كفعل حياة، كفعل يشابه بقية أفعال العيش. الإنسان تطوّر بفعل الحراك. لو لم يمشِ، لبقي مختبئا في الأشجار. وإذ تقدّم مرتفعا على قائمتيه لاستشراف خطر مقبل، حرّر يديه ومن ثم عقله. أنا، كنت أمشي في عقلي، أمشي حتى الإنهاك، حتى الوقوع أرضًا غير قادرةٍ على النهوض. الكتابة مشيٌ في الرأس. قال نيتشه إن الأفكار القيّمة تأتي فقط خلال المشي الذي يحرّر الفكر، فيما اعتبر الجلوس خطأ وإساءة إليه. كثرٌ من الفلاسفة أشادوا بفضائل المشي وتأثيره على استقدام الأفكار وأفكارها، لكني كنت دائما أميل إلى فلوبير الذي قال: «لا يمكننا الكتابة والتفكير إلا جلوسا». لقد حاول بعض السوريالين الكتابة في أثناء السير، كما كان يفعل أرسطو الذي شاع عنه أنه كان يُعطي تعاليمه سائرا.

المدافعون عن المشي وأتباعه يقولون إنه فعلٌ مرتبط بشكل وثيق بتاريخ الفكر. أما العلماء فيُرجعون الأمر إلى أن تحريك الجسم يغذّي الدماغ بالدماء، ويُبقي العقل متنبّها. هناك رهط من الفلاسفة المشّائين من أمثال روسو الذي اعتبر أن «في المشي شيءٌ ينشّط فكري ويحييه. أنا لا أستطيع التفكير حتى إذا بقيت في مكاني، ينبغي أن يهتز جسدي لكي ينشط فيه عقلي». كانط كان يقوم كل يوم بالمشوار نفسه، وفي الموعد الدقيق ذاته، بحيث قيل إن سكّان مدينته كانوا يضبطون ساعاتهم على ميعاد مروره، باستثناء اليوم الذي خرج فيه لشراء الصحيفة التي نشرت خبر اندلاع الثورة الفرنسية!.

> الإنسان تطوّر بفعل الحراك. لو لم يمشِ، لبقي مختبئاً في الأشجار

أنا، أخيرا، عدتُ أمشي في باريس. ويوميا، أشعر أن المسافة نفسها التي أقطعها باتت تقصر شيئا فشيئا. يوميا، أعد نفسي بإطالتها، لكني أنكفئ في آخر لحظة. أفكّر بأن المشي بات فعل مقاومةٍ في زمن يدفعنا كلُّ شيء فيه إلى الركون. كل شيء. وسائل نقل، وفضاءات افتراضية، ومساحاتٌ تتقلّص، ومدى ينعدم، وآفاق تتلاشى، وحرياتٌ تضيقّ. هيا قُم أيها الكسيح وامشِ. البشرية باتت كسيحة. البشرية ما توقّفت أبدا عن سيرها. إذا توقّفت ماتت. في كتابها «فنّ المشي»، تقول الباحثة الأميركية ريبيكا سولنيت عن آلة المشي أو الركض التي نستخدمها في البيت، ولا تسمح بالذهاب إلى مكان، «إنها جزء من التجهيزات العديدة التي تشجّع على الانكفاء نحو الفضاء الخاص، وتشكّل بهذا المعنى تسويةً يُخشى أن تُقنع الناسَ، في نهاية الأمر، بعدم المساهمة في جعل العالم قابلا للسكن، أو بعدم المشاركة ببساطة في الحياة الجماعية .. على الآلة، يفقد المشيُ كلّ علاقةٍ بالتأمّل، باللقاء، بالاكتشاف، ليصبح حركةً متناوبةً لأطرافنا السفلى».

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**